شِعرُ
الحَسَن بن راشد الحِلِّيّ
(توفي نحو ٨٤٠هـ)

جمع وتحقيق ودراسة
أ. م . د. عباس هاني الچراخ

Al-Hasan bin Rashid Al-Hilli's Poetry
(died about 840 A H)
Collected, Checked out and Studied by
Dr. Abbas Hani Ach-Charrakh

Abstract

Tajuddeen Al-Hassan bin Rashid Al-Hilli (died after 830 AH) was born in Al-Hilla(his birth year is not known: there was no mention of his year of birth in his biography). But because his death was in about the year (840 A H), it became possible that his birth was during the sixth decade of the eighth century A H, as evidenced by his saying in one of his poems:

And I obtained before I became thirty a rank,
He who expects it after eighty is desperate.

He grew up in his city, moving along in its alleys during his youth, and he learned reading and writing in its kuttabs(lowest elementary Qur'anic schools) and learnt the Qur'an by heart following the available custom in his

شِعرُ
الحَسَن بن راشد الحِلِّيّ
(توفي نحو ٨٤٠هـ)

جمع وتحقيق ودراسة

أ. م . د. عباس هاني الچراخ

هو(١) تاج الدِّين الحسن بن راشد الحليّ .

وُلِدَ في الحلَّة ، في سَنَةٍ غَيرِ مَعروفَة، إذْ بَخلتْ مَصَادِرُ تَرجَمَتِهِ بِذِكرِها ، ولكنْ لَمَّا كانتْ وَفَاتُهُ نحو سنة ٨٤٠هـ أَمكَنَ أَنْ نُرجِّحَ أَنَّ وِلادَتَهُ كانتْ في العقد السادس من القرن الثامن الهجري ، بدليلِ قولهِ في قصيدته السينيَّة:

وأَدرَكتُ مِن قَبلِ الثَّلاثِينَ رُتبَةً
مُؤَمَّلُهَا بَعدَ الثَّمَانِينَ يَائِسُ

نَشَأَ ابنُ راشد في مدينتِهِ، وتَنقَّلَ في أزقَّتِهَا صغيرًا ، وتعلَّمَ في كتاتيبها القِرَاءَةَ وَالكِتَابَةَ، وحَفِظَ القرآنَ الكريمَ ، على عَادَةِ أَهلِ زَمَانِهِ ، حتَّى إذا شبَّ انتقلَ إلى مرحلةٍ أعلى ، فَدَرَسَ في مدارِسِها ، وتَعَمَّقَ فِيهَا ، وَكانَ مِن شيوخِهِ فَخر المُحَقِّقِين الحِلِّيّ (ت ٧٧١هـ) (٢) ، ثُمَّ انتقلَ إلى النَّجفِ الأَشرف، فَتَتَلمَذَ على المقداد السيوريِّ (ت ٨٢٦هـ) (٣)، وذاعَ صِيتُهُ فقيهًا كبيرًا، وأُصُولِيًّا، وقالَ فيهِ الحرُّ العامليُّ : «فاضلٌ فقيهٌ ، شاعرٌ أديبٌ»(٤).

وذكرَ عبد الله أفندي(٥) أَنَّهُ من مُعَاصِرِي الفقيه ابن فهد الحليّ (ت ٨٤١هـ) (٦) .

قلتُ: وفي المصادر أكثر من عَلَمٍ يحملُ هذا الاسم واللقب(٧) ، وبرزَ من بينهمْ اسم (الحسن بن راشد المخزوميّ) ، وقد شَكَّ السَّيِّدُ مُحسن العامليُّ في أَنَّهُ شَاعرٌ آخَر(٨) ، بل جزمَ بذلك اليعقوبيُّ (ت ١٣٨٥هـ) (٩)، والخَاقَانيُّ (ت ١٣٩٩هـ) (١٠) ، وردَّ على الأوَّل الشيخُ هادي كمال الدين ، وأكَّد أَنَّهُمَا شَاعرٌ واحدٌ(١١) .

وللمخزوميِّ هذا قصيدةٌ لَاميَّة يُعَارِضُ فيها لَاميَّـةَ الشَّـفَهينيّ(١٢) ، وتقع في ١٨٠ بيتًا ، مطلعها(١٣):

فُرُوعُ قَريضي في البديعِ أُصُولُ
لها في المعاني والبيان أُصُولُ

ويختمها بقولِه:

لسبع مئين بعد سبعين حجة
وثنتين إيضاح لها ودليلُ

ومِنَ الواضح أنَّ سـنة ٧٧٢ هـ التي أشـار اليها في البيت تُؤَكِّدُ أنَّهُ من شعراء القرن الثامن الهجريّ .

وقالَ في آخر بيتٍ:

لها حسنُ المخزوم عبدكم أب
لآل أبي عبد الكريم سليلُ

فَهُوَ مِن آل عبد الكريم المخزوميّ .

وأنـا أرَى – موافقًـا لليعقوبيِّ – أنَّ (المخزومـيَّ) ، و(ابـنَ راشـد الحلِّيّ) شـاعران مختلفـان ، بينهما قرنٌ من الزَّمانِ ، ولا علاقة بينهما سوى التَّشابه في الاسم فقط .

آثارهُ:

تنوَّعـتْ آثـار ابن راشـد بـين الفقه والشِّعر، وهي :

١- حواش على حاشية اليمنيّ على الكشاف .

٢- مختصر (بصائر الدرجات) (١٤).

٣- مصبـاح المهتديـن في أصـول الدين ، رآهُ الأفنديُّ في اسـترابـاد ، وقالَ إنَّهُ جَيِّدٌ ، حَسَنُ المطالب ، وتاريخ كتابة النسـخة سنة ٨٨٣هـ ، فهي متأخِّرة عن وفاتِه(١٥).

ومنـهُ نسـخةٌ في مركز إحياء ميراث إسـلاميّ بقُم(١٦) .

وذكرَ مُتَرجِمُوهُ أنَّ لهُ أَراجيز كثيرةً ، هي:

١-«الجمانة البهية في نظم الألفية» ، وهي نَظمٌ لِأَلفِيَّةِ الشَّهيدِ الأَوَّلِ مُحمَّد بنِ مَكِّي العامليِّ (ت ٧٨٦هـ) (١٧) ، في الفقه ، وقَد نَظمَهَا سَـنة ٨٢٥هـ ، ومنها نسـخة كُتِبَتْ عن نُسخَةٍ بِخَطِّ الشَّـيخ حُسـام الدِّين بن عذافة النَّجَفِيِّ ، وهو نَقَلَهَا عن نُسـخَةٍ بِخَطِّ الشيخ إبراهيم الكفعميِّ (ت ٩٠٥هـ) ، وقالَ الكفعميُّ إنَّـهُ نَقَلَهَا عن نسـخةٍ بِخَطِّ المُصَنِّـف ، وأنَّهُ كانَ عليها تقريظُ أستاذِهِ المقداد السيوريّ بِخَطِّه ، وكتبَ الكفعميُّ التقريظَ على ظَهْرِ نُسخَتِه بِخَطِّه أيضًا(١٨) .

وقد ظفرنا – ولله الحَمدُ – بِمَخطُوطِ الأُرجُوزَةِ الذي يقبعُ في كتبخانة مجلس شـوراي ملِّي ، برقـم ٣٤٧٧ ، ويقع ضمن مجموع ، هي في أَوَّلِه ، وجاءَ في بدايتها ، بعد البسملة : «وليّ المِنَّة ، وبِهِ العِصمَة»

قَالَ الفَقِيرُ الحَسَنُ بنُ رَاشِدِ
مُبتَدِئًا بِاسمِ الإِلهِ المَاجِدِ

وتنتهي إلى الصحيفة ٢٤ ، وفي كلِّ صفحة نحو ٢٥ سطرًا (بيتًا) ، وينتهي المخطوط عند البيت المرقَّم ٦٤٤ منها ، وألحقنَا بالأُرجُوزَةِ الأبياتَ السَّبعةَ الأَخيرَةَ – بَعدَهَا – التي وردتْ في (البابليات) و(شعراء الحلَّة) و(أدب الطفِّ)، وقد نَصَّ مصنِّفوها على أنَّ تلكَ الأبيات جَاءَتْ في نِهَايَةِ الأُرجُوزَةِ ، فانتظَمَتْ الأُرجوزَةُ في ٦٥١ بيتًا(١٩).

وخطُّ النَّاسخِ واضحٌ إلَّا في مواضع قليلة، وسها عن تنقيط كثيرٍ من الكلمات ، ويبدو أنَّهُ عارضَ عملَهُ بنسخةٍ أُخرى ، فأَثبتَ رواياتٍ لبعضِ الألفاظ التي سبقها بالحرف «خ» باللون الأحمر .

وَقد كتبَ السيوريُّ تقريظًا على طُرَّةِ المَخطُوطِ ، ما نصُّهُ : «هذا الكتابُ دُرَّةٌ يتيمَةٌ، وخَرِيدَةٌ كَرِيمَةٌ ، وحَسَنةٌ عظيمةٌ ، ونادرةٌ في الفقهِ حَسنةٌ ، سَمَحَتْ بها حسناتُ الدَّهرِ، وزفَّتها سعادة أبناء العَصر ، وَسَاقَتها يَدُ التَّوفيقِ، وقادتها بزمام التحقيق والتَّدقيق ، إلى أنْ أبرزتها على صفحات الأيَّام، وأشرقَتْ شمسها بين الأنام ، أبكار نادرة الزَّمان ، وعلَّامة الأَوان، وسَحبَان الفصاحةِ والبلاغة، والصَّاحب وابن العميد في البراعةِ . تَسَنَّمَ صَهواتِ الفضلِ، وأَخلصَ للهِ أَعمَالَهُ في العدلِ، واستظهرَ مزايَا التَّحقيق ، وتَحَلَّى بِخَوَاصِّ التَّدقِيق ، المَولَى الشيخ الإمام العلَّامة، والبحر الخِضَمّ ، والطَّود الأَشَمّ ، تَاج المِلَّة والدِّين ، شمس الإسلام والمسلمين الحسن بن راشد ، لازالتْ أَيَّامُهُ زاهرةً ، وعوائده بين أهل الفضلِ متكاثرة ، فلقد طرَّز ألفيَّةَ المُصنِّفِ نقش عبارته ، ونشر فضيلته بجودة يَرَاعَتِهِ . جَعَلَنَا اللهُ وإيَّاهما من المشمولينَ برحمتِهِ ، وأسكننا دارَ كَرَامتِهِ ، وحشَرَنا مع محمَّدٍ وعِترتِهِ وذُرِّيَّتِه . وكتبَ أَقلُّ العبادِ ، والرَّاجِي عفوَهُ يومَ التَّناد ، المقدادُ بن عبد الله السيوريّ ، عفا اللهُ عنهُ . حامدًا للهِ، مُصلِّيًا على رسولِهِ ، مُستغفرًا من ذُنوبِهِ . ربِّ اختِمْ بالخير» .

٢- «الحليَّات الراشديَّات»(٢٠) ، وهي قصائد متنوعة ، ومنها القصيدة السينية ، التي يَقُولُ فيها:

مُهَذَّبَةٌ حِلِّيَّةٌ رَاشِدِيَّةٌ

إِذَا أَغرَقَ الرَّاوِي بِهَا قِيلَ خَالِسُ

٣- أُرجُوزة في تاريخ الملوك والخلفاء(٢١) .

٤- أُرجُوزة في تاريخ القاهرة .

٥- أُرجُوزة في الصَّلاة(٢٢).

وَفَاتُهُ:

تُوُفِّيَ الشاعرُ في الحلَّةِ ، ونُقلَ إلى النَّجفِ الأشرفِ ، ولا تُعرفُ تحديدًا سنةَ وَفَاتِهِ، ولكنْ يُرَجَّحُ أنَّهَا بَعدَ سنة ٨٣٠هـ (٢٣)، إذْ

قابلَ في هذه السنة نُسخَةً من كتابِ (المصباح الكبير) للشيخ الطوسيِّ بِخَطِّه في آخر الكتاب، وجاءَ فيه : «بلغت المقابلة بنسخة مصحَّحة، وقد بذلنا الجهدَ في تَصحيحِه وإصلاح ما وُجِدَ فيهِ مِنَ الغَلَطِ إلَّا ما زَاغَ عنهُ البَصَرُ ، وحسر منه النظر ، وفي المقابل بها بلغت مقابلةً بنسخة صحيحة بِخَطِّ الشَّيخ عليِّ بنِ أحمد الرميلي ، وذكر أنَّهُ نقل نسخته تلك مِن خَطِّ عليِّ بنِ مُحَمَّد السكونيِّ ، وقَابَلَها بِها بِالمَشهَدِ الحَائِرِيِّ الحُسَينِيِّ ، وكانَ ذلكَ في ١٧ شعبان من سنة ٨٣٠ . كتبهُ الفَقيرُ إلى اللهِ الحَسنُ بنُ رَاشد»(٢٤) ، ونَسَخَ أيضًا كتاب (قواعد الأحكام) للعلَّامة الحلِّيّ(٢٥) .

نظرةٌ في شعرهُ :

لابن راشد شِعرٌ كثيرٌ في مَدْحِ الحُجَّةِ القَائِم (عليه السلام) وسائر الأئمَّةِ ، وقصيدة في جوابِ سُنِّيٍّ مَدَحَ مُعَاوِيَةَ وسَائِر خُلفاء بني أُميَّة(٢٦) .

ومن المؤسف أنَّ هذا الشعر «الكثير» لَمْ يصلْ إلينا إلَّا القليل منهُ ، وقد حاولنا جَمعَهُ من شتيتِ المصادر، ولم نقف بعد البحثِ والتنقيرِ إلَّا على مَا جَادَتْ بِهِ ، وهو أقلُّ من القليل! ، ولكنَّهُ يُنبئُ عن شاعرٍ كبيرٍ ، في صورهِ وألفاظِهِ ، واطِّلاعِهِ عل الموروث الشِّعري القديم .

وتأتي قصيدتُهُ اللَّاميَّة في مُقَدِّمةِ شِعرِهِ، وقَد أَورَدَ منها العَامليُّ (ت ١٣٧١هـ) في (أَعيَان الشيعة) ٩٥ بيتًا ، وَتَابَعَهُ بِذِكرِ العَدَدِ نَفسِهِ مُعدُّو (موسوعة طبقات الفقهاء) ، وإنْ أوردوا منها تسعةَ أبياتٍ ، ذَكَرَ اليعقوبيُّ (ت ١٣٨٥هـ) أنَّها تُناهزُ المئة بيتٍ ، وتكاد تتَّفقُ المصادر مع رواية العامليِّ ، باستثناءِ مَا وَرَد في كتابِهِ الآخَر (الدر النضيد) ، فضلًا عمَّا جاءَ في كتابِ (نيل الأماني) من زيادة في الأبيات .

وبدأَهَا – على جاري القدماء – بمطلعٍ استعملَ فيهِ أَدوات النَّفي (لم) (لا) و(ما) ليوضِّح أنَّهُ لم يحزنْ لِمَا مَرَّ بهِ من حَوَادث أَليمَة ومُؤسفَةٍ ، أو ما فَاتَهُ من مَتَاعِ الدُّنيا ، ثُمَّ يَعرجُ إلى ما يبغيهِ في بيتِ التَّخلُّص ، وهو:

لي شَاغِلٌ عَنْ هَوَى الغِيدِ الحِسَانِ أو الـ
ـبيضِ المِلَاحِ بِذِكرِ الحَادِثِ الجَلَلِ
مُصَابِ خَيرِ الوَرَى السِّبطِ الحُسَينِ شَهِيْـ
ـدِ الطَّفِ نَجلِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ علي

ويمضي في رثاء أبي عبد الله الحُسين (ع) ، ومصاب معركة الطفِّ.

وخصَّ أبياتًا منهَا في مَدحِ أَميرِ المُؤمِنِينَ (ع) ، فمَنْ وَالاهُ نَجَا من هَولِ الجَحِيمِ ، وأَنَّ مقامَهُ لا يسدُّهُ أحدٌ ، ولا يُماثلهُ :

لقد نَجَا مِنْ لَظَى نَارِ الجَحِيم غَدًا
فِي الحَشْرِ كُلُّ مُوَالٍ للإِمَامِ علي
مَولًى تَعَالَى مَقَامًا أَنْ يُحِيطَ بِهِ
وَصْفٌ ، وجَلَّ عَنِ الأشبَاهِ والمُثُلِ

أمـا قصيدتهُ السِّـينيَّة فقد حشـدَ فيها كثيـرًا من الألفاظ الحُوشـيَّة الدَّالَّـة على عُمقِ مخزونهِ اللُّغويِّ ، من ألفاظ السـلاح ، وعِدَّةِ الحَربِ ، وأَجوَاءِ المَعَارِكِ، وبَدَا نَفَسُـهُ الشِّعريُّ فيها طويلًا، وبدأَتْ بمطلعٍ غزلِيٍّ ، استعملَ فيهِ حَرفَي الاستفهام (الهمزة) و(أم) :

أ سُمْرُ رِمَاحٌ أَمْ قُدُودٌ مَوَائِسُ
وَبِيضُ صِفَاحٍ أَم لِحَاظٌ نَوَاعِسُ ؟

وتَمَنَّى قِيَامَ الإمام الحُجَّة (عج) بِدَولَتِهِ الشَّريفَة:

ويدركنا لطفُ الإلهِ بِدَولَةٍ
تَزُولُ بِهَا البَلوَى وتشفَى النسَائِسُ

ورأَى أنَّ قصائِـدَهُ في مدحِ آل البيت (ع) ، التي يُنشِدُها في المجالسِ ، تكون لهُ ذخرًا يومَ القيامة ، وفي ذلكَ يقولُ :

وأَعدَدتُ ذُخرًا للمَعَادِ قَصَائِدًا
تُعَطَّرُ منهَا في النَّشِيدِ المَجَالِسُ

ولهُ نَفَسٌ طَوِيلٌ في الشِّعرِ ، مَعَ بَرَاعَة أسلوبٍ ، وجَزَالَةِ تَركِيبٍ .

ولاحظنـا اختلافـات فـي روايـة القصيدتـين، ولعلَّها ناجمة من تصرُّف أصحاب الكتـب التي نقلتها ، وقسـم منها جاء بسـبب انتقـال النظـر إلى عَجـزِ البيت التالـي للبيت المكتوب ، فيُصبحُ البيتان بيتًا واحدًا ، ومن ثمَّ تَقِلُّ أبياتُ القَصِيدَة.

وصـورهُ كثيرٌ وجميلة ، وكأَنَّهُ يرسـمُ لوحات مُعبِّرةٍ بريشةِ رسَّام ، كقولهِ يصفُ معركةَ الطَّفِّ:

سَحَائِبُ حَتْفٍ وَبْلُهَا الدَّمُ ، والظُّبَا
بَوَارِقُ فِيهَا ، والقِسِيُّ رَوَاجِسُ

فقَد صَوَّرَ سَمَاءَ المعركة – وقد تلبَّدَتْ بالغُبَـار – التي مَطَرَتْ دمًا ، أما سُـيُوفُ التي تجادلَ بها الفرسـان فكانَت كالبَوَارِقِ ؛ لِشِـدَّةِ لَمَعَانِهَا ، في حين كانتِ القِسِيُّ تَرمي السِّهَامَ ، وصَوتها كزمجرةِ الرَّعدِ .

وفي صورةٍ أُخرى يقولُ:

وأكفانُهُمْ نَسْجُ الرِّيَاحِ ، وغُسْلُهُم
مِنَ الدَّمِ مَا مَجَّتْ نُحُورٌ قَوَالِسُ

فَأَجسَادُ شُهَدَاءِ الطَّفِّ بَقِيَتْ في الميدان، وقَد اسـتَعَانَ بالاستعارةِ في رسم صورةِ الرياحِ وهي تنسجُ أكفانَ الشُّـهداء، وهذا «النَّسجُ» لا يتمّ بين ليلةٍ وضحاها ، بل بَقِيَتْ ولمْ تُرفعْ من أَرضِ المعركةِ ، بعدَ أنْ تكفَّلتِ الدِّمَاءُ بِغسـلِهَا لا الماء! .

وفي شعرهِ المحسِّـنات البديعيَّة، ومنها الجِناس الذي اهتمَّ بِهِ كثيرًا ، وأودعَ أَنوَاعَهُ في

شعرهِ ، ومنهُ التَّام ، كقَولِهِ:

نَضَا عَزمَةً عُلْوِيَّةً عَلَوِيَّةً
وقد مُلِئَتْ بِالمَارِقِينَ البَسَابِسُ

وقوله:

فَوَارِسُ في يَومِ القِرَاعِ قَوَارِعٌ
أُسُودٌ لِأَشلاءِ الأُسُودِ فَوَارِسُ

وقوله :

غَرِيرَةُ سِربٍ أَم عَزِيزَةُ مَعشَرٍ
غَزِيرَةُ حُسْنٍ للقُلُوبِ تُخَالِسُ

ولاحِظِ التَّلاعُبَ في : (غَرِيرَة) و(عَزِيزَة) و(غزِيرَة) ، بتغيير النقاط!.

وقوله:

على مِثلِ ما زَرَّتْ عليهِ جُيُوبَهَا
يُنَاقِشُ قَلْبٌ طَرفَهُ ويُنَافِسُ

أما قولهُ:

الفارس البطل ابن الفارس البطل ابـ
ـن الفارس البطل ابن الفارس البطل

فأخذهُ من قول المتنبي(٢٧) :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابـ
ـن العارض الهتن ابن العارض الهتن

وإنْ كانَ بعضُ النقَّادِ عابَ على المتنبِّي هذا البيت وأنَّه ممَّا لا طائلَ فيهِ ، فإنَّ بيت ابن راشد وصفَ فيهِ الحُسين (ع) ، وآباءَهِ ، وليستْ فيهِ كلمة غير واضحة .

وضمَّنَ شعرَ بعض القدماء ، ففي قولهِ :

أَو لا فَسَلْ عَنهُمُ الذِّكرَ الحَكِيمَ تَجِد
(في طَلعَةِ الشَّمسِ مَا يُغنِيكَ عَن زُحَلِ)

ضمَّنَ في العجزِ عجزًا للمُتَنَبِّي(٢٨) ، بل أوردَ بيتًا كاملًا له قبلهُ ، وهو :

لقد وَجَدتَ مَكانَ القَولِ ذَا سِعَةٍ
فَإنْ وَجَدتَ لِسَانًا قائلًا فقلِ

وفي قوله:

كَشَمْسٍ تَعَالتْ عَن أُكُفٍّ لَوَامِسٍ
(وأينَ من الشَّمسِ الأَكُفُّ اللَّوامِسُ)

ضمَّن في العجزِ عجزَ بيتٍ للشريف الرضيّ(٢٩).

ومنها : ردّ العجز على الصَّدر ، كقوله:

أوانسُ إِلَّا أَنَّهُنَّ جَآذر
جآذرُ إِلَّا أَنَّهُنَّ أَوَانِسُ

وقوله:

عرائس في وقت الزفافِ نَوَائِحٌ
نَوَائِحُ في وَقتِ العَزَاءِ عَرَائِسُ

والطباق ، كقوله:

بَاعُوا بِدَارِ الفَنَا دَارَ البَقَا ، وشَرَوا
نَارَ اللَّظَى بِنَعِيمٍ غَيرِ مُنتَقِلِ

التقسيم ، كقوله:

خَوَّاضُ مَلحَمَةٍ ، فَيَّاضُ مَكرُمَةٍ ،
فَضَّاضُ معظمة ، خَالٍ مِنَ الخَلَلِ

– التضمين (العروضي)، وهو « أنْ يكونَ البيت متوقِّفًا في معناه على البيت الذي بعده» (٣٠) ، كقوله:

سُقُوا بِكَأسِ القَنَا خَمْرَ الفَنَا ، فَغَدَا الـ

ـحَمَامُ يَشدُو بِبيتٍ جَاءَ كالمَثَلِ:

للهِ كَمْ قَمَرٍ حَاقَ المَحَاقُ بِهِ

وَخَادِرٍ دُونَ بَابِ الخِدرِ مُنجَدِلِ

فالبيتُ الأوَّل لا يكتملُ إلَّا مع الثاني .

وعمدَ إلى التَّكرار في قولِه:

أَخِي أَخِي مَنْ يَرُدُّ الضَّيمَ عَن حُرَمِ الـ

ـهَادِي النَّبِيِّ ، فقد أَمسَتْ بِغَيرِ وَلِي

فقد كرَّر (أخي) في البيت ، والأبيات التالية، فضلًا عن تكرار حرف الياء في البيتِ نفسِه، علاوةً على تكرار عبارة (يا جَدُّ) في بدايةِ خمسة أبيات ، من ٧٦-٨٠.

ومن الكنايةِ قَولُهُ يَصِفُ مُحالفة النَّصر لهُ ، وكثرة الجيش :

كأنِّي بِطَيرِ النَّصرِ فَوقَ لِوَائِهِ

ومِن تَحتِهِ جَيشٌ لُهَامٌ عُكَامِسُ

ويُلاحظُ أنَّ قوله:

يا جَدُّ قد فَتَكَتْ فينا عُلُوجُ بَنِي

أُمَيَّةٍ ، وبَغَايَا عَابِدِي الهُبَلِ

فكلمة (بغايا) هنا قلقةٌ ، وصَوَابها (البُغاة) ، ولكنَّ الوزنَ اضطرَّهُ لِلّجوءِ إلى تِلكَ الكلمَةِ.

أَمَّا أُرجوزته (الجمانة البهيَّة) فتدخلُ في بابِ الشعر التَّعليمي ، الذي ينظم النصوص النثريَّة ، وتكثر فيه الجمل الاعتراضية التي تأتي لتحشية البيت ، وخاصَّةً في نهايتِه ، مثل «فاعلمن» ، أو «يا أخي» ، وغيرها.

وهنا أرادَ ابنُ راشد أنْ ينظم (أَلفيَّة) الشهيد الأَوَّل ، ليسهلَ على المُبتَدِئَ حفظها :

والنَّظمُ أَولَى بِقَبولِ الذِّهنِ

لهُ ، وأحلَى مَوقِعًا فِي الأُذْنِ

وقد استطاعَ أَنْ يجمع ويختصر ما دار في ذاكَ الكتاب في أُرجوزتِه هذه ، وهذا لا يتأتَّى لأَيِّ ناظمٍ كان ، بل يقتصرُ الأَمرَ على الفَقِيهِ المُدقِّقِ العالِمِ .

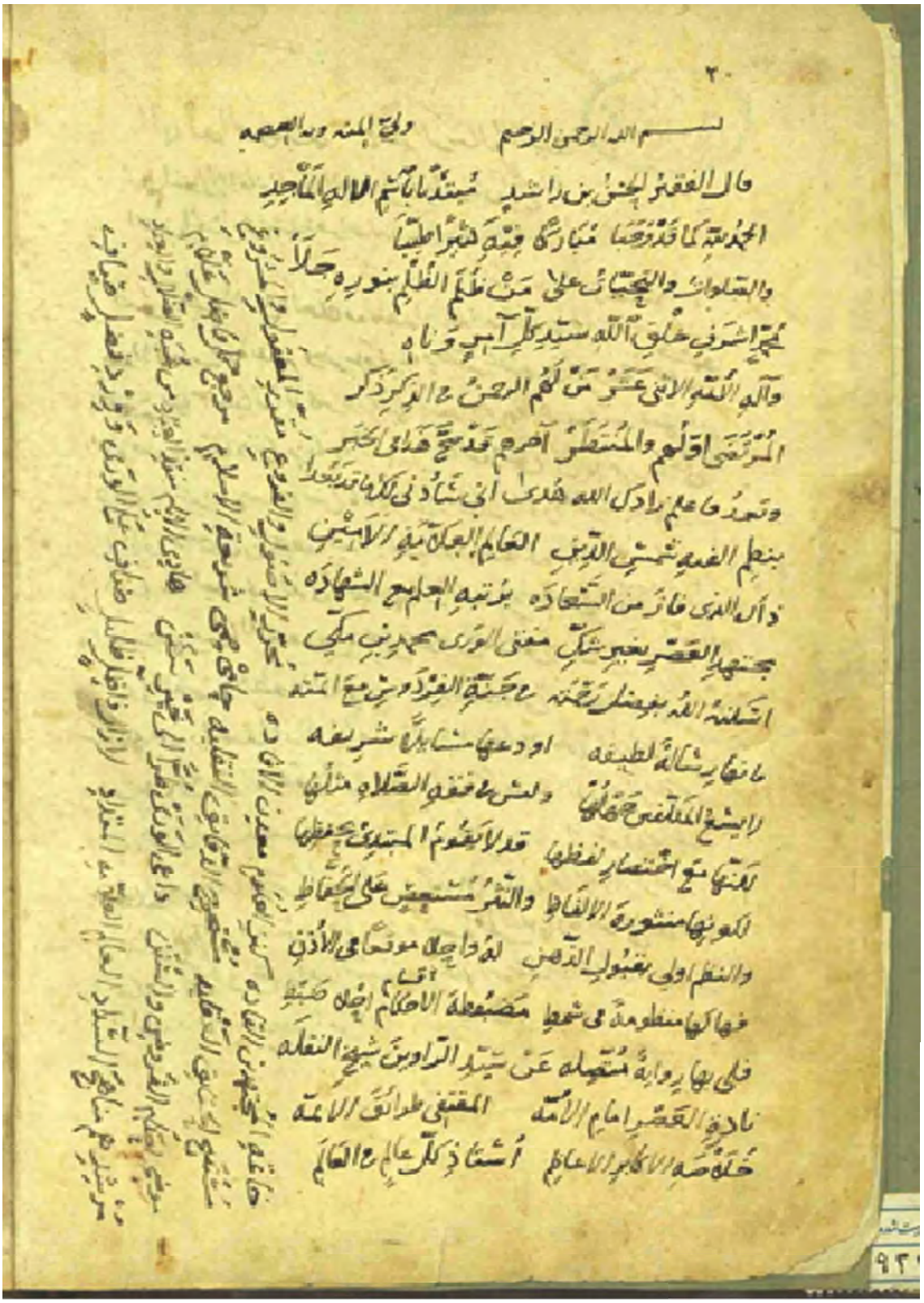

الصفحة الثانية من مخطوط (الجمانة البهية)

منهجُ الجَمعِ والتَّحقِيقِ

يَتَمَثَّلُ مَنهَجُنَا في جَمعهِ شعر ابن راشد الحِلِّيَ وتحقيقهِ في النحو الآتي :

١ـ ترتيب القطع على وَفْقِ رَوِيِّهَا تَرتِيبًا أَلفبَائِيًّا .

٢- الاعتمادُ في إثبات النصوص على المصادر التي أَورَدَتِ النَّصوصَ كاملةً، ثُمَّ التي أَورَدَتهَا بِدرجَةٍ أَقَلّ ، وقد أشرنا إلى أرقام الأبيات بصورة دقيقة أمام كل مصدر.

٣ـ تقويم النصّ عروضيًا ، وإثبات اسم البحر.

٤ـ ضبط النَّصِّ ضبطًا تامًّا ضَبطًا يُعينُ على فَهْمِ المعنَى .

٥ـ تخريــج النُّصُــوص من المظان المختلفة – بعد اســتقصائِها – وإثبات عدد الأبيات التي وردت في كلِّ مصدرٍ .

٦- ذِكْر الاختلاف الحاصل في الروايات ، وترجيح الرواية الصحيحة التي تطمئن إليها النفس وإثباتها في المتن.

٧- توضيح الألفاظ التي غمضتْ معانيها بالرجوع إلى المعجم .

٨- أثبتنا تخريج القطع أسفلها مباشرةً ، في حين خصصنا الهوامش لإيراد اختلاف الروايات وتفسير المفردات.

٩- الإشارة إلى الأخطاء الواردة في المصادر.

١٠- أثبتنَا أُرجوزة (الجمانة البهيَّة) مضبوطةً بالشَّكل التَّام ، وأَشَرنَا إِلى الرِّوَايَاتِ الأُخَرِ التي أوردها ناسِــخُها ، ولم نشــرحْ ما فيها مِن مَطالب فقهيَّة ، لِكونِها قَامَتْ على نظم كتاب (الألفية) للشــهيد محمد بن مكِّي ، وهو كتاب مطبوعٌ ومتداولٌ .

نرجو أنْ نكونَ قد وُفِّقنا في هذا العمل .

والحمدُ للهِ رَبِّ العالمِينَ.

شِعرُ
الحسن بن راشد الحلِّيّ
[١]

قال: **(الطويل)**

أَ سُمْرُ رِمَاحٌ أمْ قُدُودٌ مَوَائِسُ ... وَبِيضُ صِفَاحٍ أم لِحَاظٌ نَوَاعِسُ ؟
وسِرْبُ جَوَارٍ عَنَّ عَنْ أيمنِ الحِمَى ... لنَا ، أم جَوَارٍ نَافِراتٌ شَوَامِسُ(٣١) ؟
شَوَامِسُ في حَبِّ القُلُوبِ سَوَاكِنٌ ... وَأَمْثَالُهَا بَينَ الشِّعَابِ كَوَانِسُ(٣٢)
أَوَانِسُ إلَّا أَنَّهُنَّ جَآذِرُ ... جَآذِرُ إلَّا أَنَّهُنَّ أَوَانِسُ
كَوَاعِبُ أَتْرَابٍ ، نَوَاعِمُ نُهَّدٍ ... عَقَائِلُ أَبكَارٍ ، غَوَانٍ مَوَائِسُ
حِسَانٌ يُخَالِسْنَ الحَلِيمَ وَقَارَهُ ... عَفَائِفُ رَاجِي الوَصْلِ مِنهُنَّ آيِسُ
وتِلكَ التي مِنْ بَينِهِنَّ جَلَتْ لنَا ... مُحَيَّا تَجَلَّتْ مِن سَنَاهُ الحَنَادِسُ
كَشَمْسٍ تَعَالَتْ عَن أكُفٍّ لَوَامِسٍ ... (وأينَ مِنَ الشَّمسِ الأَكُفُّ اللَّوامِسُ) (٣٣)
غَرِيرَةُ سِربٍ أم عَزِيزَةُ مَعشَرٍ ... غَزِيرَةُ حُسْنٍ لِلقُلُوبِ تُخَالِسُ
عليهَا رَقِيبٌ مِن ضِيَاءٍ جَبِينِهَا ... ومِن عَرفِهَا وَالحِلْيِ وَاشٍ وحَارِسُ
إذا سَفَرتْ والليلُ داجٍ وَدَاجِنٌ ... بَدَا الكونُ مِن لَألائِهَا وَهوَ شَامِسُ
وإنْ جَرَّدَتْ بِيضُ الظُّبَا مِن جُفُونِهَا ... لِفَتْكٍ سَيَخشَاهَا الكَمِيُّ المغامِسُ(٣٤)
قلوبُ الأُسودِ الصِّيدِ صَيدُ لِحَاظِهَا ... وَهَا خَدُّهَا مِمَّا تَقنصُ وَارِسُ
مُنَعَّمَةٌ لمْ تَلْبَسِ الوَشْيَ زِينَةً ... ولكنْ أَحَبَّتْ أَنْ تُزَانَ الملابِسُ
ولا قَلَّدتْ دُرًّا يُقَاسُ بِثَغرِهَا ... لِحُسْنٍ ، ولكنْ كي يُذمَّ المُقَايِسُ
على مِثلِ ما زَرَّتْ عليهِ جُيُوبَهَا ... يُنَاقِشُ قَلْبٌ طَرفَهُ ويُنَافِسُ
ومِنْ مِثلِ مَا لاثَتْ عليهِ خِمَارَهَا ... تُخَامِرُ أَلبَابَ الرِّجَالِ الوَسَاوِسُ
ومِن مِثلِ مَا يَرتَجُّ تَحتَ بُرُودِهَا ... يَرُوحُ ويَغدُو ذُو الحِجَى وَهوَ بَالِسُ(٣٥)
غَرَسْتُ بِلَحظِي الوَردَ في وَجَنَاتِهَا ... ولمْ أَجْنِ إنْ أَجنِ الذي أنَا غَارِسُ
نَعِمتُ بِهَا والرَّاحُ يَجلُو شُمُوسَهَا ... على أنجُمِ الجُلَّاسِ بَدرٌ مُؤَانِسُ

شَهِيُّ اللَّمَى ، عَذبُ المَراشِف ، فَاحِمُ الـ ... سوالِف ، مُرتَجُّ الرَّوَادِف مَائِسُ
طَويلُ مَنَاط العِقد ، طفل أزاره ... وزنَّاره(٣٦) ضِدَّانِ مُثْرٍ وبَائِسُ
لهُ من أخي الخَنسَاء(٣٧) قَلبٌ يَضمُّهُ ... شَمَائِل تنميها إلى اللطف فَارِسُ
دُمُوعي وأهوَائي لِجَامِع حُسنِه ... طَلائِقُ في شَرْعِ الهَوَى وحَبَائِسُ
يَطُوفُ بِصرفٍ يَصرِفُ الهَمَّ كاسُهَا ... مُصَفَّقَة قَد عَتَّقَتها الشمامسُ(٣٨)
على كلِّ عَصرٍ قد تَقَدَّمَ عَصرُهَا ... لهَا فَوقَ رَاحَاتِ السِّمَاتِ مَقَابِسُ
عروسٌ تُحَلَّى حينَ تُجلَى بِجَوهرِ الـ ... حَبَاب ، وتَهوى وَهيَ شَمطاءُ عَانِسُ
على رَوضَةٍ فَيحَاء فَيَّاحَة الشذا ... حَمَائِمُهَا بَعضٌ لِبَعضٍ يُدَارِسُ
ترفُّ عليهَا السُّحبُ حتَّى كأَنَّهَا ... بُزاةُ قَنيصٍ والرِّيَاضُ طَوَاوِسُ
فَمِنْ فَاختِيَات الغَمَام خِيَامُنَا ... وَمن سُندُسِيَّات الرِّيَاض الطَّنَافِسُ(٣٩)
إذ الدَّهرُ سَمْحٌ والشَّبِيبَةُ غَضَّةٌ ... ومَيدانُ لَهْوي أفيَحُ الظِّلِّ آنِسُ
فَمُذْ (٤٠) رِيعَ رَيعَانُ الشَّبَاب وآنَ أنْ ... يُوَافِيَ النَّذِيرُ المُستَحِثُّ المُخَالِسُ
وقَد كادَ دُوحُ العُمْرِ تَذوي غُصُونُهُ ... ووَلَّى مَعَ العِشرينَ خَمْسٌ وسَادِسُ
وأسفَرَ ليلُ الجَهْلِ عَن فَلَقِ الهُدَى ... وبَانَتْ لِعَينَيَّ الأُمُورُ اللَّوَابِسُ
نَضَوتُ رِدَاءَ اللَّهوِ عَن مَنكِبِ الصِّبَا ... وقَشيبًا(٤١) كما تُنضَى الثِّيَابُ اللَّبَائِسُ
ورَوَّضتُ مُهْرَ الغَيِّ بَعدَ جِمَاحِه ... بِسَائِسِ حِلمٍ ، حبَّذَا الحِلمُ سَائِسُ
وأعدَدتُ ذُخرًا لِلمَعَادِ قَصَائِدًا ... تُعَطَّرُ مِنهَا في النَّشِيدِ المَجَالِسُ
بِمَدحِ الإمَامِ القَائِمِ الخَلَفِ الذي ... بِمَظهَرِه تَحيَا الرُّسُومُ الدَّوَارِسُ
إمَامٌ لهُ - ممَّا جَهِلنَا - حَقِيقَةٌ ... ولَيسَ لهُ فِيمَا عَلِمنَا مُجَانِسُ
ورُوحٌ عَلا في جِسْمِ قُدْسٍ يَمدُّهَا ... شُعَاعٌ مِنَ الأعلَى الإلَهِيِّ قَابِسُ
ومَعنًى دَقِيقٌ جَلَّ عَنْ أنْ تَنَالَهُ ... يَدُ الفِكْرِ ، أو تَدنُو إليه الهَوَاجِسُ
تَسَاوَى يَقِينُ النَّاسِ فيه ووَهمُهُمْ ... فَأعظَمُهُمْ عِلمًا كَمَنْ هُوَ حَادِسُ
إذَا العَقلُ لمْ يَأخُذْ عَنِ الوَحْيِ وَصفَهُ ... يَظَلُّ وَيَضحَى تَعتَرِيه الوَسَاوِسُ
وسِرٌّ سَمَاوِي ، ونُورٌ مُجَسَّد ... وجَوهَرُ مَجدٍ ذَاتُهُ لا تُقَايِسُ
لهُ صَفوَةُ المَجدِ الرَّفِيعِ وصَفوُهُ ... ومَحضُ المَعَالي والفَخَار القَدَامِسُ(٤٢)
فَخَارٌ لو انَّ الشَّمسَ تُكسَى سَنَاءَهُ ... لَمَا غَيَّبَتهَا المُظلِمَاتُ الدَّوَامِسُ
تَوَلَّدَ بينَ المُصطَفَى ووَصِيِّه ... ولا غَروَ أنْ تَزكُو هُنَاكَ الغَرَائِسُ
سَيَجلو دُجَى الدِّينِ الحَنِيفِ بِعَزمَةٍ ... هيَ السَّيفُ لا مَا أخلَصَتْهُ المَدَاعِسُ
ويدركنا لطفُ الإلهِ بِدَولَةٍ ... تَزُولُ بِهَا البَلوَى وتُشفَى النَّسَائِسُ(٤٣)

إمـامـيَّـة مـهـديَّـة أحـمـديَّـة ... إذا نـطـقـتْ لمْ يـبـقَ لـلـكُـفـرِ نَـابِـسُ
ومِـيـزانُ قِـسْـطٍ(٤٤) يَمحَقُ الجَورَ عَدلُهَا ... إذا نُـصِـبَـتْ لمْ يَـبـقَ لـلـحَـقِّ بَـاخِـسُ
يُـشَـادُ بـهـا الإسـلامُ بَـعـدَ دثـورِه ... وَيضحى ثناها في حلى العزِّ رَائِسُ
ويُـجـبِّرُ مَـكـسُـورٌ ، ويَـيـأَسُ طَـامِـعٌ ... ويُـكـسَـرُ جَـبَّـارٌ ويَـطـمَـعُ آيِـسُ(٤٥)
إذا مَـا تَجَـلَّـى في بُـرُوجِ سُـعُـودِه ... عَلينا انجَلَتْ عنَّا النُّجُومُ الأَنَاحِسُ
صِـراطُ الـهُـدَى المهديُّ مِنْ خوفِ بأسِه ... تَـذِلُّ عِـزازُ المشركينَ الغطارسُ
كـأنِّي بِـأفـوَاجِ المَـلائـكِ حَـولَـهُ ... مُـسَـوَّمَـةً يَـومَ الصِّـيَـاحِ مداعسُ
كـأني بميكائيل تحت ركـابِـه ... يُـنَـاجِـيـه إجـلالًا لـهُ ، وَهـوَ نَـاكِـسُ
كـأنِّي بِـإسـرافيل قَـد قَـامَ خَـلفَـهُ ... وجبريل مـن قُـدَّامِـه وَهـوَ جَـالِـسُ
كـأنِّي بعيسَى في الصَّلاة وراءَهُ ... تَـبـارَكَ مـرؤوسٌ كـريمٌ ورائِـسُ
كـأنِّي بـه في كَـعـبَـةِ اللهِ قَـانِـتًـا ... يُـوَاهِـسُـهُ رَبُّ الـعُـلا ويُـوَاهِـسُ
كـأنِّي بـه مـن فَـوقِ مِـنـبَرِ جَـدِّه ... لِـبُردَتِـه عِـنـدَ الخِـطَـابَـةِ لَابِـسُ
كـأنِّي بِـطَـيرِ النَّـصرِ فَـوقَ لِـوَائِـه ... ومِـن تَحتِـه جَيشٌ لُـهَـامٌ عُـكَـامِسُ(٤٦)
خِـضـمٍ مِـن الـفـتحِ المُـبِـينِ رَعِـيلُـه ... تَضِيقُ بِـه الفتحُ القِفارُ الأَمَالِسُ
لَـهُ زَجَـلٌ كـالـيَـمِّ عَـبَّ عِـبابُـهُ ... يَصكُّ صِماخَ الرَّعدِ مِنهُ الهَسَاهِسُ
هَـدِيـرُ قُـرُومٍ يَـرهَـبُ المَـوتَ بَأسُـهَا ... وزَأْرُ لُـيُـوثٍ أفلتتها الفَـرَائِـسُ
تُـظَـلِّـلُـهَـا عِـنـدَ المَـسِـيرِ نُـسُـورُهَـا ... وَيقدمُهَا عِندَ الرَّحِيلِ الهقالِسُ
تَـؤُمُّ وَصِـيَّ الأَوصِـيَـاءِ ، ودُونَـهُ ... مَلائِكَةٌ غُيرٌ ، وشُوسٌ أَحَامِسُ
غَـطَـارِيـفُ طَـلَّاعُـونَ كُـلَّ ثَـنِـيَّـةٍ ... فَلَيسَ لَهُمْ عَن ذَروَةِ المَجدِ خَالِسُ
مَـغَـاوِيـرُ بَـسَّـامُـونَ في كُـلِّ مَـأزَقٍ ... وُجُـوهُ المَنَايَا فِيه سُودٌ عَوَابِسُ
كِـرَامٌ أَهَـانُـوا دُونَ دِيـنِ مُحَمَّدٍ ... نُفُوسَهُمُ ، وَهِيَ النُّفُوسُ النَّفَائِسُ
فَـوَارِسُ في يَـومِ الـقِـرَاعِ قَـوَارِعٌ ... أُسُـودٌ لأَشـلاءِ الأُسُـودِ فَـوَارِسُ
ومَـوضُـونَـةٌ زُغـفٌ وجُـرْدٌ سَـلاهِـبٌ ... وَبِـيـضٌ مَـصَـالِـيتٌ وسُـمْـرٌ مداعِسُ
وضَـرْبٌ كَـمَـا تَـهـوَى الظبا مـتـدارِكٌ ... وطَعنٌ كمَا تَهوَى القَنَا مُتَكَاوِسُ(٤٧)
شِـعـارُهُـمُ يـا ثـأرَ آلِ مُحَـمَّـدٍ ... إذا أَسـعَـرَتْ نـارَ الوَطِيسِ الفَوَارِسُ
يُـجِـدُّ لَـهُـمْ ذِكْـرُ الـطُّـفُـوفِ صَـوَاهِـلٌ ... سَـوَابِـحُ في بَـحـرِ الـوَغَـى تَـتَـقَـامَـسُ
كـمـا جَـدَّدَ الأحـزَانَ شَـهْـرُ مُحَـرَّمٍ ... فَـنَـاحَ لِـرُزءِ السِّـبطِ رَطْـبٌ ويَـابِـسُ
أَبُـثُّـكَ يَـا مَـولايَ بَـلـوَايَ فَـاشْـفِـهَـا ... فَـأَنـتَ دَوَاءُ الـدَّاءِ ، وَالـدَّاءُ نَـاخِـسُ
تَـلافَ عَـلِـيـلَ الـدِّيـنِ قَـبـلَ تَـلافِـه ... فَـقَـد غَـالَـهُ مِـن عِـلَّـةِ الـكُـفـرِ نَـاكِـسُ

فَخُذْ بِيَدِ الإِسْلامِ وَانعَشْ عِثَارَهُ ... فَحَاشَاكَ أَنْ تَرضَى لَهُ وَهوَ تَاعِسُ
أَمَولايَ لَولا وَقعَةُ الطَّفِّ مَا غَدَتْ ... مَعَالِمُ دِينِ اللهِ وَهيَ طَوَامِسُ
ولَولا وَصَايَا الأَوَّلِينَ لَمَا اجْتَرَتْ ... عَلى السِّبطِ في الشَّهرِ الحَرَامِ العَنَابِسُ(٤٨)
أَحَاطُوا بِهِ - يَا حُجَّةَ اللهِ - ظَامِئًا ... وَمَا فِيهِمُ إِلَّا الكَفُورُ المُوالِسُ(٤٩)
وأَبْدَتْ حُقُودًا قَبلُ كَانَتْ تُكِنُّهَا ... حِذَارَ الرَّدَى مِنهُم نُفُوسٌ خَسَائِسُ
وَطَافَ بِهِ بَينَ الطُّفُوفِ طَوَائِفٌ ... بِهِم أُطفِئَتْ شُهْبُ الهُدَى والنَّبَارِسُ(٥٠)
بَغَوا ، وبَغَوا ثَارَاتِ بَدْرٍ ، وبَادَرُوا ... وفي قَتْلِ أَولادِ النَّبِيِّ تَجَاسَسُوا
فَقَامَ بِنَصرِ السِّبطِ كُلَّ سَمَيدَعٍ ... وَثِيقِ العُرَى عَن دِينِهِ لا يُدَالِسُ(٥١)
مَصَابِيحُ لِلسَّارِي ، مَجَادِيحُ(٥٢) لِلحِجَى ... مَسَامِيحُ في اللَّأوَاءِ ، والأُفْقِ تَارِسُ
صَنَادِيدُ أَقيَالٌ(٥٣) ، مَنَاجِيدُ سَادَةٌ ... مَذَاوِيدُ أَبطَالٌ ، كُمَاةٌ أَشَاوِسُ
بَهَالِيلُ إِنْ سِيمُوا الرَّدَى لَمْ يُسَامِحُوا ... وإِنْ سُئِلُوا بَذلَ النَّدَى لَمْ يُمَاكِسُوا
إِذا غَضِبُوا دُونَ العُلا فَسِيَاطُهُمْ ... شِفَارُ المَوَاضِي ، واللُّحُودُ المَحَابِسُ
لِبِيضِ مَوَاضِيهِم وسُمْرِ رِمَاحِهِم ... مَغَامِدُ مِن هَامِ العِدَا وقَلانِسُ
وَصَالُوا وقَد صَامَتْ صَوَافِنُ خَيلِهِمْ ... وصَلَّتْ لِوَقْعِ المُرهَفَاتِ القَوَانِسُ
وقَد جَرَّ فَوقَ الأَرضِ فَضلَ رِدَائِهِ ... غَمَامَ الرَّدَى ، والنَّقعُ كاللَّيلِ دَامِسُ
سَحَائِبُ حَتْفٍ وَبْلُهَا الدَّمُ ، والظُّبَا ... بَوَارِقُ فِيهَا ، والقَسِيُّ رَوَاجِسُ
فَلَمَّا دَعَاهُمْ رَبُّهُم لِلِقَائِهِ ... أَجَابُوا ، وفي بَذلِ النُّفُوسِ تَنَافَسُوا
وَقَد فَوَّقَتْ أَيدِي الحَوَادِثِ نَحوَهُم ... سِهَامَ رَدًى لَمْ يَنجُ مِنهُنَّ تَارِسُ
فَأَضحَوا بِيَومِ الطَّفِّ صَرعَى ، لُحُومُهُمْ ... تُمَزِّقُهَا طِلْسُ الذِّئَابِ اللَّغَاوِسُ
وأَكفَانُهُمْ نَسْجُ الرِّيَاحِ ، وغُسْلُهُم ... مِنَ الدَّمِ مَا مَجَّتْ نُحُورٌ قَوَالِسُ
وقَد ضَاقَ بِالسِّبطِ الفَضَا ، ودَنَا القَضَا ... وظَلَّ وَحِيدًا لِلمَنُونِ يُغَامِسُ(٥٤)
وعِترَتُهُ قَتلَى لَدَيهِ ، وَوُلْدُهُ ... ظَمَايَا ، ورَيبُ الدَّهرِ بِالعَهدِ خَائِسُ
نَضَا عَزمَةً عُلْوِيَّةً عَلَوِيَّةً ... وقَد مُلِئَتْ بِالمَارِقِينَ البَسَابِسُ
وكَرَّ فَفَرُّوا مُجفِلِينَ كَأَنَّهُ ... هِزَبرٌ هَصُورٌ ، والأَعَادِي عَمَارِسُ
وأَذْكَرَهُمْ (٥٤) بَأسَ الوَصِيِّ وَفَتكَهُ ... فَرَدُّوا عَلى أَعقَابِهِم وتَنَاكَسُوا
فَأَلقَوهُ مَهشُومَ الجَبِينِ عَلى الثَّرَى ... وفي كُلِّ قَلبٍ هَيبَةٌ مِنهُ وَاجِسُ
وأَعظَمُ مَا بِي شَجْوَ زَينَبَ إِذْ رَأَتْ ... أَخَاهَا طَرِيحًا لِلمَنَايَا يُمَارِسُ(٥٦)
تَقُولُ : أَخِي يَا وَاحِدِي ، شَمِتَ العِدَا ... بِنَا ، واشْتَفَى فِينَا العَدُوُّ المُنَافِسُ
أَخِي اليَومَ مَاتَ المُصطَفَى ووَصِيُّهُ ... ولَمْ يَبقَ لِلإِسْلامِ بَعدَكَ حَارِسُ